القواعد والضوابط لتفسير الكلمات القرآنية

Muhammad Yasir
STIQ Ar-Rahman Bogor
ahmaduyasirun@gmail.com

Abstract
There are the greats correlations between the words of the Qur'an and understanding of the verse. It is the first gate before understanding a verse, where the right understanding of a verse depends on the initial understanding of a word. The conclusion from this study shows how important it is to understand the Qur'anic words correctly and intact. This must be based on the rules and dhowabit, especially the rules which mentioned by previous scholars and some of the new rules that we need today. A mufassir or *mutadabbir* (a person who recites Al-Qur'an) will not understand the purpose or sign of a quranic verses perfectly except by understanding the word in that verses as a whole. The rules and dhowabit (conditions) that resulted from this study amounted to 14 rules and 2 dhowabit that specifically functioned to understand the words of the Qur'an not mentioned before. This research is qualitative that uses the descriptive analysis to the library sources, which is related to the words (sentences) of the Qur'an, both the lexical side and its position (maudhi`) in the sentence. And this research too compares each opinion with similar interpretations, so that a special rule and dhobit is formed in understanding the Qur'anic words properly and appropriately.

Keywords: Al-Kalima>t, Al-Qawa>'id, Ad{-D{awa>bit}

مستخلص البحث

هناك علاقة وثيقة وقوية بين الكلمات وتفسير الآية، فهو كالبوابة الأولى قبل دخول في الآية، حيث جاء الخطأ والصواب في تفسير الآية توقف على تفسير الكلمة بدايةً. يتخلص هذا البحث في بيان مدى أهمية تفسير الكلمة القرآنية بشكل صحيح كامل. وذلك باعتماد على القواعد والضوابط، وهي القواعد والضوابط التي ذكرها العلماء السابقون وبعض القواعد الجديدة التي يتطلب منا وجودها اليوم. هذا، لأن المفسر أو المتدبر كلام الله تعالى لن يصل إلى معاني الآيات أو إشارات الآية القرآنية بشكل صحيح كامل إلا بفهم كلمات الآية مثل ما فهمه العرب القدماء. تحصّل الباحث في هذه الدراسة على أربع عشرة قاعدة وضابطين وهي لم تكن مذكروة من قبل. وأما المنهج الذي يستخدم في هذا البحث فهو منهج نوعي تحليلي تقعيدي معتمدا على المصادر والمراجع التي تتعلق بكلمة القرآن في دلالة ألفاظها، من جانبها المعجمي (leksikal) وموضعها في الجملة (grametikal) مع مقارنة الأراء المعروضة بآراء اللغويين، لما يحصل خلاف في تحديد تفسير الكلمة بين المفسرين. وبالتالي تشكلت القواعد والضوابط الخاصتان لفهم معنى كلمة القرآن بشكل صحيح كامل.

أ. المقدمة

إن أوّل بحث في القرآن هو في كلماتها ومفرداتها، ثم بعد ذلك إلى تراكب وجملها، لذلك برزت المعاجم والقواميس في بيان معاني كلمات قرآنية، اشتقاقا وتصريفا، وكشفت وفتشت المعاني التي تحتوي عليها الألفاظ القرنية،

فالألفاظ أو الكلمات بمنزلة مفاتيح لفهم الجمل والتراكيب، فالصحيح في فهم الكلمات سيؤدي إلى صحة فهم الجمل، والخطأ في فهم الكلمات سيؤدي إلى خطأ في فهمها لا بد.

واللغة العربية لثروتها الغزيرة ربما يتيه الإنسان فيها ولا يهتدى، فلا يعرف الفروق بين الكلمة االمتشابهة، وبين المعاني المتفاوية، لا سيما إذا تداخل مع اختيار أو استدلال المفسر شيئا من الهوى، ففسر الكلمة القرآنية بما تشتهيه الأنفس. والاعتماد على اللغة دون غيرها من أسباب الاختلاف الواقع من جهة الاستدلال كما ذكره ابن تيمية (ت:728 هـ) رحمه الله تعالى في مقدمة في أصول التفسير[1].

ومن تلك الأخطاء أو احتمال الخطأ في تفسير الكلمة:

في قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (الحج: 52)

كلمة (تمنى) أيّ إذا قرأ القرآن ألقى الشيطان الوسواس في قراءته، و تمنّى الكتاب قرأه[2] قال الله تعالى: ومنهم أُميون لا يعلمون الكتاب إلا أَمانيَّ،[3] وليس التمنى هنا الذي هو طلب حصول شيئ بعد الوقوع.[4] وبين السعدي في تفسيره معنى هذه الكلمة، حيث قال: وأن الله ما أرسل قبل محمد (مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إلا إِذَا تَمَنَّى) أي: قرأ قراءته، التي يذكر بها الناس، ويأمرهم وينهاهم، (أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) أي: في قراءته، من طرقه ومكايده، ما هو مناقض لتلك القراءة، مع أن الله تعالى قد عصم الرسل بما يبلغون عن الله، وحفظ وحيه أن يشتبه، أو يختلط بغيره. ولكن هذا الإلقاء من الشيطان، غير مستقر ولا مستمر، وإنما هو عارض يعرض، ثم يزول، وللعوارض أحكام، ولهذا قال: (فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ) أي: يزيله ويذهبه ويبطله، ويبين أنه ليس من آياته، و (يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ) أي: يتقنها، ويحررها، ويحفظها، فتبقى خالصة من مخالطة إلقاء الشيطان."[5]

فهذه بعض الأمثلة تبين لنا أن التفسير اللغوي مجرد التفسير المعجمي يخل المعنى المقصود من المتكلم، دون النظر إلى العلاقات اللفظية بأسباب النزول وغيرها. لا سيما التفسير اللغوي داخل في التفسير بالرأي الذي يتعرض – عند فهم المفسر – إلى الحق والباطل فلا بد له من القواعد والضوابط تقيده وتضبطه، فربما فسر الرجل بما له بضعة من العربية – وظن أنه ملائم لتفسير كلام الله – ثم أخطأ خطأ لا يصدر إلا من تجرئه وهواه وجهله، لذلك

---

[1] أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، *مقدمة في أصول التفسير*، ص: 33و نقل كلامه هذا مساعد الطيار في التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص: 51.

[2] أبو السعادات الجزري، *النهاية في غريب الحديث والأثر*، بيروت، المكتبة العلمية 1399هـ (مادة: منا)

[3] محمد بن أبي الرازي، *مختار الصحاح*، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، (مادة: منا)

[4] أبو عبد الله محمد بن أحمد، القرطبي شمس الدين، *الجامع لأحكام القرآن*، ص: 83/12

[5] عبد الرحمن السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، بيروت، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى 1420هـ، ص: 542

يقول محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: 1367هـ): أما الأمور التي يجب البعد عنها في التفسير بالرأي فمن أهمها: التهجم على تبيين مراد الله من كلامه على جهالة بقوانين اللغة أو الشريعة.[6]

وفي قوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (القيامة: 22، 23)

وذكر بعض المفسيرين في تحريف للفظ (ناظرة) إلى انتظار، وتفسير السلف على خلافه. قال تعالى: إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ أي: من ينظره كل يوم بكرة وعشيا، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وجماله الباهر، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. ففسر بعضهم بـ: نعمة ربها، لأن الآلاء النعم، وفي واحدها أربع لغات: أَلا، مثل: قَفَا، وأَلْي، مثل: رَمْي، وإِلى، مثل: مِعَى، وإِلِيّ، مثل: حِسِّي.[7]

فليس كل ما يكون صحيحا في اللغة يكون صحيحا للتفسير، لأن الكلمة المركبة في الجمل يضبطها سياق الآية. والاعتماد على مجرد اللغة دون غيرها من المصادر سبب من أسباب الانحرافات. فنحتاج إلى ما يضبط تفسير مفردات القرآن، حتى يذهب المفسر اللغوي مذهب التفسير الصحيح الذي دل على مراد الله تعالى.

ولذا قال مساعد الطيار في التفسير اللغوي للقرآن الكريم:"ولما كان هذا حال اللغة العربية من السعة، صار فيها إثراء للمعاني المحتملة في التفسير، كما صار فيها طريقا لإثبات بعض المبتدعة بدعهم بها، وبهذا تكون سعة اللغة العربية سلاحا ذا حدين، لذا فإن الأمر يحتاج إلى ضوابط يتبين بها معرفة الصحيح من السقيم من هذه المحتملات اللغوية."[8]

وصاحب مباحث في علوم القرآن مناع بن خليل القطان (ت: 1420 هـ) لما تكلم عن القواعد التي يحتاج إليها المفسر، يقول[9]: "وإذا كان القرآن الكريم قد نزل بلسان عربي مبين: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (يوسف: 2)، فإن القواعد التي يحتاج إليها المفسِّر في فهم القرآن ترتكز على قواعد العربية، وفهم أسسها، وتذوق أسلوبها، وإدراك أسرارها، ولذلك كله فصول متناثرة، ومباحث مستفيضة في فروع العربية وعلومها."

1. معنى القواعد والضوابط والفرق بينهما

القاعدة لغة تأتي بمعنى الاستقرار والثبات[10]، والعرب تقول: شهر ذي القعدة، لأنهم قعدوا في ذاك الشهر، قال تعالى: وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا (الآية، النور: 60) والقواعد في هذه الآية هي المرأة التي

---

[6] محمد عبد العظيم الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، الناشر : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة : الطبعة الثالثة، ص: 50/2

[7] ذكر الزمخشري في الكشاف، بقوله: فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء.(*الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، ص: 662/4)

[8] مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، *التفسير اللغوي للقرآن الكريم*، ص: 677

[9] مناع خليل القطان، *مباحث في علوم القرآن*، الرياض المملكة العربية السعودية، مكتبة المعارف، ط. 1421هـ، ص: 198

[10] أحمد بن فارس القزويني الرازي، أبو الحسين، *معجم مقاييس اللغة*، ص: 5 / 108

قعدت عن الحيض أي أيست منه لكبر سنها.[11] وتطلق أيضا بمعنى الأسّاس والأصول، وقواعد البيت أساسه وأصوله، قال تعالى: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ (الآية، البقرة: 127).

والقاعدة لغة أيضا بمعنى الأصل الذي يبنى عليه غيره والقواعد أيضا بمعنى القضايا الكلية، والقضايا هي قول يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب، والكلية هي المحكوم على جميع أفرادها. وبناء على ذلك يمكن القول: إن كل قضية كلية هي قاعدة أيا كان مجالها. وذكر علي بن محمد الجرجاني (ت: 816هـ) أن القاعدة: هي قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها.[12] وإذا رأينا التعريف الذي يذكر للقاعدة في الفنون المتعددة فمعنى القاعدة يدور حول هذا التعريف الذي ذكر الجرجاني.

أما في الاصطلاح فهي على حسب ما يضاف إليها، فقواعد التفسير ليست بمعنى قواعد الفقه، وقواعد النحو أو الصرف، وعلى سبيل المثال باب الفقه، القواعد بمعنى: حكم كلي يتعرف به على أحكام جزئياته. ويقول عبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف، هي: قضية كلية من حيث اشتمالها بالقوة على أحكام جزئيات موضوعها، وتسمى جزئياتها فروعا.[13]

وفي باب التفسير عُرفت قواعد التفسير بأنها: تلك الضوابط والكليات التي تُلتزم كي يتوصل بها إلى المعنى المراد من كلام الله تعالى.[14] وعرف مساعد الطيار بأنها: الأمور الكلية المنضبطة التي يستخدمها المفسر في تفسيره، ويكون استخدامه لها إما ابتداءً، ويبني عليها فائدة في التفسير، أو ترجيحا بين الأقوال.[15]

أما الضابط لغة اسم فاعل من ضَبَطَ وجمعه ضوابط والضبط هو لزوم الشيء وحبسه، وضبْط الشيء حفظه بالحزم، والرجل ضابط أي حازم.[16] قال صاحب لسان العرب ابن منظور (ت: 711 هـ): "(ضبط) الضبط: لزوم الشيء وحبسه. وقال الليث: الضبط لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء، وضبط الشيء حفظه بالحزم، والرجل ضابط أي حازم. ورجل ضابط وضبطى: قوي شديد. وأسد أضبط: يعمل بيساره كعمله بيمينه، والضابط: القوي على عمله.[17]

---

[11] لهذا المعنى ينظر تعليق مصطفى ديب البغا على *صحيح البخاري* (بيروت، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة ، 1407 هـ) ص: 1629/4

[12] علي بن محمد الزين الشريف الجرجاني، *كتاب التعريفات*، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ، ص: 171

[13] عبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف، *القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير*،المملكة العربية السعودية، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1423هـ ، ص: 34/1

[14] عبير بنت عبد الله النعيم، *قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير* (دراسة تأصيلية تطبيقية)، وهي في الأصل رسالة دكتوراة، الناشر: دار التدمرية الرياض المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1436 هـ، ص: 120، وكذا قواعد التفسير، خالد السبت، ص: 33/1

[15] مساعد بن سليمان الطيار، *فصول في أصول التفسير*، ص: 118

[16] محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، *لسان العرب*، بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى (مادة: ضبط)

[17] محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور الإفريقى، *لسان العرب*، ص: 431/7 بتصرف يسير.

وللضبط معنى آخر وهو شدة المسك بالشيء والاحتفاظ به، كأنه لا يخرج ما منه ولا يدخل ما ليس في حيزه، قال أبو هلال العسكري (ت:395 هـ) في الفروق اللغوية : الفرق بين الضبط والحفظ: أن ضبط الشئ شدة الحفظ له لئلا يفلت منه شئ ولهذا لا يستعمل في الله تعالى لأنه لا يخاف الإفلات ويستعار في الحساب فيقال فلان يضبط الحساب إذا كان يتحفظ فيه من الغلط.[18]

وأما في الاصطلاح الفقهي هو ما به نعرف ما تحكم به مسائل الباب الواحد وترجع إليه مسائل الباب الواحد. أو نقول ما اختص بباب، وقصد به نظم صور متشابه.[19] وهو حكم أغلبي يتعرف منه أحكام الجزئيان الفقهية المتعلقة بباب واحد من أبواب الفقه مباشرة، فهو يشترك – في معناه الصطلاحي – مع القاعدة الفقهية في أنّ كلا منهما يجمع جزئيات متعددة يربط بينها رابط فقهي، كذلك أن القاعدة تشمل فروعا من أبواب متعددة من أبواب الفقه، أما الضابط فيشمل فروعا من باب واحد من أبواب الفقه.

على أن من العلماء من يطلق على الضابط قاعدة، وقد يطلق العكس،[20] لتقارب معنييهما. فهو يشترك في معناه الصطلاحي مع القاعدة في أن كلا منهما يجمع جزئيات متعددة يربط بينها رابط فقهي.[21]

وفي أهمية معرفة الضوابط قال ابن نجيم الحنفي (ت: 969): "الثاني: الضوابط وما دخل فيها وما خرج عنها. وهو أنفع الأقسام للمدرس والمفتي والقاضي، فإن بعض المؤلفين يذكر ضابطه ويستثني منه أشياء، فأذكر فيها أني زدت عليه أشياء أخر، فمن لم يطلع على المزيد ظن الدخول وهي خارجة كما ستراه."[22]

فالضوابط مثل القواعد في المكان وهو أنفع الأقسام للمدرسين والمتعلمين فأنه أوعى لحفظ المسائل التي تطرأ على طلاب العلم، وأدعى لضبطها فمن لم يضبط مسائل العلوم فقد يظن دخول مسألة وهي خارجة عنها فالضوابط تحفظ تصور الطالب من أن يقع تصوّره فيما ليس من حيزه، وتضبط عقله في تصوّره.

أما الفرق بين القاعدة والضابط أن القواعد تتميز بالإيجاز في الصياغة مع عموم المعنى ووسعة استيعابه للجزئيات، وسهولة الحفظ والإشارة إلى المناط والعلة. والقاعدة أوسع مجالا من الضابط فكل قاعدة ضابط وليس كل ضابط قاعدة.

---

[18] أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، *معجم الفروق اللغوية*، ص: 326

[19] زين الدين بن إبراهيم بن نجيم، *الأشباه والنظائر*، بيروت، دار الفكر، 1403هـ، ص: 192

[20] علي أحمد الندوي، *القواعد الفقهية (مفهومها، نشأتها، تطورها، دراسة مؤلفاتها، أدلتها، مهمتها، تطبيقاتها)*،ص: 50-51

[21] علي الندوي، *القواعد الفقهية (مفهومها، نشأتها، تطورها، دراسة مؤلفاتها، أدلتها، مهمتها، تطبيقاتها)*، ص: 46

[22] زين الدين ابن نجيم المصري، *الأشباه والنّظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان*، بيروت – لبنان، الناشر: دار الكتب العلمية، 1419 هـ، ص: 15

والقاعدة تشمل فروعا من أبواب متعددة، أما الضابط فيشمل فروعا من باب واحد. والقاعدة أوسع مجالا من الضوابط فكل قاعدة ضابط وليس كل ضابط قاعدة. قال ابن نجيم في كتابه الأشباه والنّظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان : "وفي الحقيقة هي الضوابط والاستثناءات، والفرق بين الضابط والقاعدة أن القاعدة تجمع فروعا من أبواب شتى، والضابط يجمعها من باب واحد، هذا هو الأصل."[23] فالقواعد والضوابط جميعها قواعد ترد إليها فروعه، وكليات تتفرع عنها جزئيات، وأصول تنبني عليها مسائل جزئية، إلا أن القواعد أعم من الضوابط حيث تتميز بكونها غير منحصرة في باب معين من أبواب الدي.

وعلى سبيل المثال في علم الفقه، القاعدة: المشقة تجلب التيسير، فهذه الكلية تسمى قاعدة لا ضابطا، لأنها تدخل في جميع أبواب الشريعة، في العبادات والمعاملات وغيرها من أبواب الدين. أما قاعدة ما جازت إجازته جازت إعارته، فهي ضابط فقهي لاختصاصها بالمعاملات في باب العارية، وكذلك قاعدة ما لا يجوز السلم فيه لا يجوز قرضه، فهي ضابط لاختصاصها بالمعاملات باب القرض.

أما لفظ القاعدة في مباحث قواعد التفسير عدها علماء قواعد التفسير شيء واحد مع لفظ الضوابط، إلا أننا نحاول التفريق بينهما في معنى أن الضبط لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء، فيحفظ الجزئيات ألا يدخل ما ليس منه ولا يخرج ما هو منه. فضبط الشيء حفظه بالقوة والجزم وألّا يدخل أو يخرج ما ليس حيزه. وفي هذه الرسالة نصنع كما صنعه الأصوليون والفقهاء في القواعد والضوابط إلا أن الضابط هنا ليس مندرجا تحت القاعدة، نسأل الله التوفيق والتسهيل.

2. مكانتهما العلمية، استنتاجهما، مدى حجيتهما

القاعدة لها مكانة شريفة في مجال العلم، ويعتبر بحثها في علم ما علامة لارتقاء الفهم في الإحاطة بمسائل العلم. والذي لا ينظر إلى القواعد والكليات يتشتت ذهنه و ينسى جزئياته لأن القاعدة هي أصول كلية ترد إليها الجزئيات كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت:728 هـ) رحمه الله[24]في أهيمتها ومكانتها العلمية : "لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلّا، فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم[25]."

كذلك قال الزركشي (ت:728 هـ) رحمه الله تعالى[26] في المنثور في القواعد: "أما بعد، فإن ضبط الأمور

---

[23] زين الدين ابن نجيم المصري، *الأشباه والنّظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان*، ص: 137

[24] خير الدين بن محمود ، الزركلي الدمشقي، *الأعلام*، دار العلم للملايين،2002 م، ص: 6/ 61

[25] أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، *مجموع الفتاوى*، دار الوفاء، 11426 هـ، ص: 239/19

[26] خير الدين بن محمود، الزركلي الدمشقي، *الأعلام*، دار العلم للملايين، 2002 م، ص: 6/ 61

المنتشرة المتعددة في القوانين المتحدة، هو أوعى لحفظها، وأدعى لضبطها، وهي إحدى حكم العدد التي وضع لأجلها، والحكيم إذا أراد التعليم لا بد أن يجمع بين بيانين: إجمالي تتشوق إليه النفس، وتفصيلي تسكن إليه[27]."

فتقعيد علم ما وتضبيطه يعطي ثمرة نافعة جنية لمتطلبها. ومن ناحية أخرى حفاظا وتسهيلا على قريب الخطى و ضعيف الجري. وكذلك من علامات طزاجة علم ما فإنه يمكن أن تقعد وتضبط مسائله ثم تصبح معروفة مشتهرة و مستقرة عند كل طالبه بقواعد العلم وضوابطه.

فواضح من كلام القطان أن المفسر لا بد أن يهتم بقواعد التفسير أكبر الاهتمام، لاسيما في القواعد العربية التي تتعلق بالكلمة أو الآية تعلقا مباشرا. وصاحب مناهل العرفان الزرقاني (ت: 1367هـ) لما تكلم عن تفسير الباطنية وبين بطلان قواعدهم يقول: "وهذه التأويلات الفاسدة من أشد وأنكى ما يصاب به الإسلام والمسلمون لأنها تؤدي إلى نقص بناء الشريعة حجرا حجرا وإلى الخروج من ربقة الإسلام وحلّ عراه عروة عروة (ثم قال): لهذا شرطنا في التفسير ما شرطنا وفي مقدمة شروطه التزام قوانين الشريعة والتزام قواعد اللغة العربية أما التزام قوانين الشريعة فلكيلا تتهافت النصوص وتتناقض التعاليم. وأما التزام قواعد اللغة فلأن القرآن نزل بلسان عربي مبين." [28]

فجعل صاحب مناهل العرفان شرطين لا بد أن يلتزمها المفسر لما تصدر لتفسير القرآن: الأول: التزام قواعد اللغة العربية. الثاني: التزام قوانين الشريعة. فالقاعدة عند العالم تفيده إفادة كبيرة جدا، حتى يستطيع العالم الرجوع إليها كقاعدة يبني عليها فتواه واستنباطه بدلا من البحث في كل مرة من أمهات الكتب والأدلة القرآنية والحديثية، والله أعلم.

وقواعد التفسير، بنسبة استعمالها نوعان: القاعدة العامة والقاعدة الخاصة، والمراد بالعامة هي القواعد التي يستفاد منها في فهم القرآن عموما، كقاعدة : المفرد المضاف يفيد العموم. كقوله تعالى: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (الضحى: 111). وقوله: وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا (إبراهيم : 34) المقصود : نعم الله. والمراد بالخاصة هي القواعد الترجيحية التي يستفاد منها في الموازنة بين الأقوال، ومعرفة الراجح منها والمرجوح، كقاعدة : القول الذي تؤيده قرائن السياق مرجح على ما خالفه، كقوله تعالى: مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ (المجادلة : 7) أي: بعلمه، قالوا : لأن الله افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم.[29]

---

[27] بدر الدين الزركشي، *المنثور في القواعد*، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1405 هـ، في المقدمة، ص: 1/1

[28] محمد عبد العظيم الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص: 2/75-76 بتصرف يسير.

[29] حسين الحربي، *قواعد الترجيح عند المفسرين*، ص: 301/1

وإذا تنازعت القواعد، بحيث صار لكل قول قاعدة ترجحه فإن المعتبر به غلبة ظن المجتهد كما قال الزركشي (ت: 794 هـ): "واعلم أن التراجيح كثيرة، ومناطها ما كان إفادته للظن أكثر فهو الأرجح. وقد تتعارض هذه المرجحات، كما في كثرة الرواة وقوة العدالة وغيره، فيعتمد المجتهد في ذلك ما غلب على ظنه."[30]

وقال الشنقيطي (ت: 1393هـ): فإن قيل: يرجح حديثهم إذا بالكثرة، فالجواب: أنهم وإن كثروا فميمونة، وأبو رافع أعلم منهم بالواقعة كما تقدم، والمرجحات يرجح بعضها على بعض، وضابط ذلك عند الأصوليين هو قوة الظن، ومعلوم أن ما أخبرت به ميمونة رضي الله عنها عن نفسها، وأخبر به الرسول بينها، وبين زوجها صلى الله عليه وسلم الذي هو أبو رافع أقوى في ظن الصدق مما أخبر به غيرهما[31].

وتؤخذ القواعد والضوابط في التفسير من المصادر الأساسية والثاوية، المصادر الأساسية تعنى: القرآن والسنة أما المصادر الثاوية هي أثر الصحابة، اللغة وقواعدها من النحو والصرف والبلاغة، علوم القرآن والتفسير وما استقرأه المفسرون واللغويون. وذكرت عبير بنت عبد الله النعيم أن استمداد قواعد التفسير من ستة المصادر: القرآن الكريم، السنة النبوية، بعض ما أثر عن الصحابة رضي الله عنهم في الكلام على التفسير، أصول الفقه لأن حقيقتها استقراء كليات الأدلة، اللغة والبيان والنحو والتصريف، كتب علوم القرآن ومقدمات بعض كتب التفسير.[32]

كذلك الطيار يقول في كتابه: "ويمكن استنباط هذه القواعد من كتب التفسير، وكتب اللغة، والبلاغة، والأصول."[33]فالقاعدة تؤخذ من النصوص الشرعية بلفظها أو بمعنى الألفاظ ومن استقراء وتتبع العلماء، ومثال القاعدة: تفسير القرآن بالقرآن، مستنبط من فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين فسر الظلم في قوله تعالى : الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ (الأنعام: 82) بقوله تعالى : إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (لقمان: 13)، إلى آخره من الأمثلة. ومثال القاعدة التي تؤخذ من الاستقراء وتتبع كلام العلماء القاعدة: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

يقول ابن الأثير (ت: 637 هـ) في المثل السائر: "إن الألفاظ أدلة المعاني، وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني، وهذا لا نزاع فيه لبيانه، وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة،[34]كما ذكر الألوسي (ت: 1270هـ) في معرض تفسيره لقوله تعالى: وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ

---

[30] بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي، *البحر المحيط في أصول الفقه*، ص: 452/4

[31] محمد الأمين الجكني الشنقيطي، *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، ص: 42/24

[32] عبير بنت عبد الله النعيم، *قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير*، ص: 121، وانظر أيضا: *قواعد التفسير* لخالد السبت، ص: 33/1

[33] مساعد بن سليمان الطيار، *فصول في أصول التفسير*، ص: 118

[34] أبو الفتح ضياء الدين نصرالله الموصلي، *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*، ص: 169/1

(الأنبياء: 19) أن الاستحسار أبلغ من الحسور، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى."[35] ويلزم من هذه القاعدة نقول إن نقص المبنى يدل على نقص المعنى لا بد.

والقاعدة: إعمال الأغلب في القرآن وتقديم المفهوم الجاري في استعماله أولى، ذكر هذا المعنى الطبري (ت: 310 هـ) في تفسيره: "بعض أهل العلم بكلام العرب أن البرد في هذا الموضع النوم، وأن معنى الكلام: لا يذوقون فيها نوما ولا شرابا، واستشهد لقيله ذلك بقول الكنديّ:

بَرَدَتْ مَرَاشِفُها عَلَيَّ فَصَدَّني... عَنْها وَعَنْ قُبُلاتِها البَرْدُ

يعني بالبرد: النُّعاس، والنوم إن كان يُبرِد غليلَ العطش، فقيل له من أجل ذلك البرد فليس هو باسمه المعروف، وتأويل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب، دون غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل."[36]

والقاعدة: إذا احتمل اللفظ معان عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها، قد أشار إليها الشنقطي (ت: 1393هـ) في تفسيره المبارك أضواء البيان : "وما ذكرنا أيضا أنه يفهم منها لما تقرر عند العلماء من أن الآية إن كانت تحتمل معاني كلها صحيحة تعين حملها على الجميع كما حققه بأدلته الشيخ تقي الدين أبو العباس بن تيمية رحمه الله في رسالته في علوم القرآن." [37]فكذلك الضوابط تؤخذ من المصادر التي أخذت منه القواعد، لأنهما شيئان متماثلان، يحتويان على جزئياتهما إلا أنّ الفرق بينهما أن القاعدة أوسع من الضابط. فالقاعدة تحتوي عليها أشياء كثيرة والضابط يحتوي عليه ما هو في بابه فقط.

وكان الكلام في قواعد التفسير منثور في كتب التفسير، والأصول، وعلوم القرآن، ككتاب البرهان لبدر الدين الزركشي (ت: 794 هـ)، والإتقان لجلال الدين السيوطي (ت: 911 هـ). إضافة إلى ما زخرت به مقدمات المفسرين في تفاسيرهم كمقدمة تفسير النكت والعيون لأبي الحسن الماوردي (ت: 450 هـ)، ومقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي (ت:741 هـ)، ومقدمة التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) للطاهر بن عاشور (ت: 1393 هـ)، ومقدمة تفسير ابن كثير (ت: 774 هـ).

أما بنسبة حجية القواعد فعلى حسب وضعها في العلوم فحجية القواعد في الأبواب الفقهية ليست كحجية القواعد في باب التفسير أن القواعد الفقهية يحتج إليها إذا كانت معتبرة صحيحة بحيث مستنبطة من النصوص الشرعية والاستقراء النصي. أما قواعد التفسير فإنها لا تكون حجيتها كحجية القواعد الفقهية بل وجودها لاستنباط معاني القرآن وفهمه على الوجه الصحيح، قالت عبير بنت عبد الله النعيم في كتابها قواعد الترجيح المتعلقة بالنص

---

[35] محمود أبو الفضل الألوسي ، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، ص: 21/9

[36] محمد أبو جعفر الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، مصر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ، ص: 163/24

[37]محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ، *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، ص: 15/16

عند ابن عاشور أن فائدة قواعد التفسير لاستنباط معاني القرآن وفهمه على الوجه الصحيح، وضبط التفسير بقواعد صحيحة[38]، والله أعلم.

ب. الدراسة السابقة

هذا البحث في الحقيقة امتدادا من البحث الذي كتبه مساعد بن سليمان بن الطيار بعنوان: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، وهو رسالته الدكتوراة في تخصص علوم القرآن وانتهت من مناقشتها في 12: 7: 1421هـ بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى.[39] فبنعمة الله قد قرأتُ الكتاب بالتأني والاهتمام وكثيرا أستفيد من الكتاب في هذا البحث، وهو كتاب قيم في بابه، حسن في عرض بحثه، إلا أن الطيار لم يخصص بحثه ذاك في فهم الكلمات القرآنية، بل في التفسير اللغوي عموما، واللغة لا شك يشمل أشياء كثيرة، من البحث في الكلمات والجمل، واشتقاقها، وصرفها، ونحوها، وبلاغتها. ومما ذكره الطيار في ملخص نتيجة بحثه ويتعلق بمبحثنا هو:

1. أن التفسير اللغوي جزء من علم التفسير، ولذا لا يمكن أن يخلو منه كتاب في التفسير، إلا أن يكون من التفاسير المنحرفة التي لا تعتمد على لغة العرب في بيان القرآن، كتفاسير الباطنية والصوفية وغيرها.
2. عدم اهتمام من ألّف في اللغة بالنقل عن المفسرين، مثل الكيار هذه القضية بابن جرير الطبري (ت:310 هـ) حيث يندر أن يحكى اسمه في كتب اللغة
3. ظهر أثر معتقد المؤلف على بحوثه في التفسير اللغوي، وأن معرفة هذا المعتقد ضرورية للباحث، كما ظهر في هذا المجال أنه لا يلزم – ولا يكفي – أن يكون ما قيل في كتب التراجم من عقيدة المؤلف صحيحا، بل قد يكون مما ألصق به لسبب من الأسباب.
4. أنّ من أهم أسباب الانحراف في التفسير اللغوي الاعتماد على العقل المجرد، والانتصار للمذهب العقدي، وقد ساعد على ذلك سعة العربية. وإن مما يدل على هذه المسألة، ما أحدثه بعضهم من معان لغوية مولدة، لا تعرفها العرب، ولم يكن من منطقها، ومن أشهر الأمثلة عليها تفسير معنى الاستواء بالاستيلاء.
5. أنه مع ما للغة من الأهمية في فهم القرآن فإنها لا تعتبر المصدر الوحيد، بل هناك ما يقدم عليها عند الاختلاف في فهم معنى الآية، فسبب النزول يبين المعنى المحتمل من دلالات اللفظ اللغوي، ولذا لا يصح أن يحمل المعنى على غير ما يدل عليه سبب النزول. والمعنى الشرعي مقدم على المعنى اللغوي، إذا تعارضا

---

[38] عبير بنت عبد الله النعيم، *قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير*، ص: 121

[39] أخذت هذه المعلومة عن الدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار من موقعها الرسمي في الشبكة العنكبوتية (التاريخ 26 ذو القعدة 1438 هـ، الساعة: 12. 37)

في مثال ما، لأن الشارع معني ببيانها، لا ببيان المعنى اللغوي. وكذا تفسير السلف يدل على المعنى المراد من المعاني المحتملة، فما ناقضه من المعاني رد، ولو كان لغويا، وكل تفسير لغوي وارد عن السلف يحكم بعربيته، وهو مقدم على تفسير اللغويين، وأن الوارد عن السلف حجة في بيان اللغة.

6. أنه حينما يأتي تفسير عن السلف لا تجده في معاجم اللغة، فلا نتسرع في رده، لأنه قد يكون فسره على المعنى لا على اللفظ، أو يكون دلالة لغوية جهلها اللغويون ولم ينقلوها. وأنه إذا كان التفسير الوارد عن السلف تفسيرا على المعنى، فإنه لا يخالف التفسير على اللفظ.[40]

وذكر الطيار في آخر بحثه أربع قواعد مع الشرح والأمثلة في التفسير اللغوي، وهي أن كل تفسير لغوي وارد عن السلف يحكم بعربيته وهو مقدم على قول اللغويين. وإذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد، جاز تفسير الآية بها. ولا يصح اعتماد اللغة دون غيرها من المصادر التفسيرية. ولا تعارض بين التفسير اللفظي والتفسير على المعنى. [41]

ت. منهج البحث

اختار الباحث لهذه الأطروحة بحث تقديري نوعي (kualititatif) وهو اعتماد على تتبع المصادر والمراجع المكتبية وتحليلي من خلال القراءة بفحص واستكشاف من بطون الكتب المصدرية الأساسية أو الثانية. وكذلك مقارنة (komparatif) الآراء والحجج لما حصل الخلاف والتعارض بين الرأيين أو الآراء في المسألة. ثم نأتي إلى تقعيد وتضبيط الجزئيات المتفرقة إلى أن وصل الباحث إلى الحكم الكلي ينطبق على أجزاءها مع تطبيق القواعد والضوابط في بعض الآيات من جزء عمّ. وهذا التطبيق لا تتأتى ثمرتها إلا بدراسة تحليلية لغوية في الكلمة القرآنية مع مقارنة الكلمة المترجمة من قبل وزارة الشؤون الدينية إندونيسيا.

ث. القواعد والضوابط لتفسير كلمات قرآنية

1. الفصل الأول : القواعد

نعرّف هنا القواعد لتفسير الكلمات القرآنية الخاصة، نقول أنها "القضية أو الكليات التي تلتزم كي يتوصل بها إلى المعنى المراد من كلمة القرآن". واخترنا لفظ "قضية" من لفظ "حكم" مع أن المعنى المتقارب إلا أن لفظ "قضية" أليق لمسائل علوم التفسير، ولفظ "حكم" أليق بعلم أصول الفقه.

---

[40] مساعد بن سليمان الطيار، *التفسير اللغوي للقرآن الكريم*، ص: 678

[41] مساعد بن سليمان الطيار، *التفسير اللغوي للقرآن الكريم*، ص: 560-652

وهناك قواعد لتفسير كلمات القرآن قد ذكرها بعض الأئمة والأساتيذ فلا يحتاج إلى شرحها هنا. وتلك القواعد كانت ممتزجة بقواعد التفسير العامة، فلم تكن مختصة لكلمات القرآن. وهنا نذكر قواعد خاصة لتفسير كلمة القرآن التي يحتاجها المفسر، ولا بد منها، ولم تكن مذكورة في السابق. جمعت هذه القواعد والضوابط من بطون كتب التفسير وعلوم التفسير ومن الكتب التي ذات صلة بالقواعد والضوابط لتفسير الكلمات القرآنية:

- **القاعدة الأولى**: لا بد من اعتماد دلالات الكلمات القرآنية في عصر نزول القرآن، لا وفق ما تطورت إليه الكلمة.

المثال للقاعدة: ومن سبيل المثال، في قول الله تعالى: أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (المائدة: 96). وفي سورة يوسف: وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (يوسف: 19) فلا يأتي واحد فسر "السيارة" في الآية بالسيارة المعروفة في اللغة العربية الآن. ومعنى (السيارة) هنا ذكره الراغب الأصفهاني. وقال الراغب (ت: 502 هـ) في بيان معنى المادة: "السَّيْرُ: المضيّ في الأرض، ورجل سَائِرٌ، وسَيَّارٌ، والسَّيَّارَةُ: الجماعة، قال تعالى: وَجاءَتْ سَيَّارَةٌ (يوسف: 19) يقال: سِرْتُ، وسِرْتُ بفلان، وسِرْتُهُ أيضا، وسَيَّرْتُهُ على التّكثير، فمن الأوّل قوله: أَفَلَمْ يَسِيرُوا (الحج: 47)"[42] وقال السعدي في قوله تعالى: "مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ، أي: الفائدة في إباحته لكم أنه لأجل انتفاعكم وانتفاع رفقتكم الذين يسيرون معكم.[43]

- **القاعدة الثانية:** النظر في أصل الكلمة واشتقاقها من المعاجم المعتمدة والنظر في معنى الكلمات بشكل كامل، سبيل الوصول إلى فهم سديد في تعيين معنى الكلمة وهو أولى بتفسير الكلمة.

المثال للقاعدة: وكذلك لفظ (الساهرة) في قوله تعالى: فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (النازعات: 14)، قال ابن فارس (ت:395 هـ): (سهر) السين والهاء والراء معظم بابه الأرق، وهو ذهاب النوم. يقال سهر يسهر سهرا. ويقال للأرض: الساهرة، سميت بذلك لأن عملها في النبت دائما ليلا ونهارا. ولذلك يقال:"خير المال عين خرارة، في أرض خوارة، تسهر إذا نمت، وتشهد إذا غبت".[44]

مثال آخر كلمة (سُبَاتًا) فسرت بـ (الراحة) وهذا تفسير اللفظي المرادف ولا بأس به، لكن إذا رجعنا إلى أصل اللغة لمعنى السبات فنجد معناه أوضح من مجرد ذكر (الراحة)، قال ابن فارس (ت: 395 هـ): (سبت) السين

---

[42] أبو القاسم الراغب الأصفهاني، *المفردات في غريب القرآن* (مادة سار)

[43] عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، ص: 244

[44] أبو الحسين أحمد بن فارس، *معجم المقاييس اللغة*، مادة (سهر)

والباء والتاء أصل واحد يدلّ على راحةٍ وسكون.[45] وقال البغوي: أي راحة لأبدانكم. قال الزجاج: (السبات) أن ينقطع عن الحركة والروح فيه. وقيل: معناه جعلنا نومكم قطعًا لأعمالكم، لأن أصل السبت: القطع.[46]وقال ابن كثير (ت:774 هـ): وقوله: (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا) أي: قطعا للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي.[47] وقال الخازن (ت: 741 هـ) في تفسيره: وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً أي راحة لأبدانكم وليس الغرض أن السبات للراحة بل المقصود منه أن النوم يقطع التعب ويزيله، ومع ذلك تحصل الراحة، وأصل السبت القطع، ومعناه أن النوم يقطع عن الحركة والتصرف في الأعمال.[48] فمعرفة أصل الكلمة واشتقاقها من المعاجم المعتمدة تعين على فهم معناها الواسع،[49] فيراجع من أراد المزيد من الأمثلة.

- **القاعدة الثالثة:** معرفة معنى الكلمة من حيث اللغة لا تكفي في تحديد المراد.

المثال للقاعدة: ومثال أخر قوله تعالى: وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (البقرة: 57)، ذكر أبو جعفر الطبري أنه السلوى: طير، بإجماع من مفسري السلف.[50] وقال مؤرج السدوسي، أحد علماء اللغة: أنه العسل، واستدل له بقول الهذلي: (وقاسمها بالله جهدا لأنتم ... ألذ من السلوى إذا ما نشورها)، وذكر أنه كذلك بلغة كنانة، وسمي العسل به، لأنه يسلى به.[51] وذكر محمد بن أحمد بن الأزهري أن كون السلوى في لغة العرب: العسل، لا يلزم منه صحة حمله على معنى السلوى في الآية، لذا قال ابن الأعرابي: والسلوى: طائر، وهو في غير القرآن: العسل.[52]

- **القاعدة الرابعة:** كل تفسير لغوي وارد عن السلف يحكم بعربيته وهو مقدم على تفسير اللغويين، لأسباب علمية عقلية وعرفية، بشرط صحت النسبة إلى القائل.

المثال للقاعدة: التأويل الذي خالف تأويل السلف من الصحابة والتابعين يكفي لتخطئته، قال الطبري (ت: 310 هـ): "وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل، ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب،

---

[45] أحمد بن فارس أبو الحسين، *معجم مقاييس اللغة*، ص: 124/3

[46] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، ص: 312/8

[47] إسماعيل بن عمر، أبو الفداء ابن كثير الدمشقي، *تفسير القرآن العظيم*، ص: 302/8

[48] علي بن محمد علاء الدين أبو الحسن الخازن، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، ص: 387/4

[49] وقد استدل الشنقيطي كثيرا في تفسيره بالسياق.

[50] وقد أورد الطبري الرواية عن السلف، ولم يذكر عنهم غير هذا المعنى، وإنما اختلفوا في التعبير عن وصف هذا الطير، والله أعلم. انظر: *تفسير الطبري*، ص: 96/2

[51] وقد نقل هذا البيت القرطبي في تفسيره، ص: 407/1

[52] محمد بن أحمد بن الأزهري، *تهذيب اللغة*، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، 2001م، ص: 68/13

يوجه معنى قوله: (وفيه يعصرون)[53] وفيه ينجون من الجدب والقحط بالغيث، ويزعم أنه من العصر والعصرة التي بمعنى المنجاة. وذلك تأويل يكفي من الشهادة على خطئه، خلافه قول أهل العلم من الصحابة والتابعين."[54]

- **القاعدة الخامسة**: إذا جاء القرآن والحديث الصحيح والمأثور الصحيح بتفسير الكلمة فهو مقدم وأولى من غيره وما خولف فيه اتفاق الصحابة والتابعين في التفسير فهو يرد

المثال للقاعدة: قوله تعالى: وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى(الأعلى: 4) أي: من جميع صنوف النباتات والزروع، فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (الأعلى: 5)، قال ابن عباس: هشيما متغيرا. وعن مجاهد، وقتادة، وابن زيد، نحوه.

قال الإمام ابن جرير (ت: 310 هـ): "وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم، وأن معنى الكلام: والذي أخرج المرعى أحوى، أي: أخضر إلى السواد، فجعله غثاء بعد ذلك." ثم قال ابن جرير: "وهذا وإن كان محتملا إلا أنه غير صواب، لمخالفته أقوال أهل التأويل."[55] والمراد أهل التأويل هم المفسرون سابقوهم. فهذا دليل واضح على اعتماد أبي جعفر الطبري إمام المفسيرن على قول المفسرين من قول اللغويين، إذا حصل الخلاف بينهم.

- **القاعدة السادسة**: إعمال الأغلب في القرآن وتقديم المفهوم الجاري في استعماله أولى ولا يحكم للأغرب من كلام العرب على الأغلب ولا الشاذ الضعيف على القوي

المثال للقاعد: ما قال له ابن جرير (ت: 310 هـ) في قوله تعالى: لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (النبأ: 24) وقد زعم بعض أهل العلم بكلام العرب أن البرد في هذا الموضع النوم، وأن معنى الكلام: لا يذوقون فيها نوما ولا شرابا، واستشهد لقيله ذلك بقول الكنديّ:

بَرَدَتْ مَرَاشِفُها عَليَّ فَصَدَّنِي... عَنْها وَعَنْ قُبُلاتِها البَرْدُ[56]

يعني بالبرد: النُّعاس، والنوم إن كان يُبرِد غليلَ العطش، فقيل له من أجل ذلك البرد فليس هو باسمه المعروف. (وقال بعده موضحا): وتأويل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب، دون غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.[57]

---

[53] قال تعالى: ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (يوسف: 49)

[54] محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، ص: 131/16 بتصرف يسير.

[55] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، *تفسير القرآن العظيم* ص: 397/8

[56] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، *تفسير القرآن العظيم*، ص: 41/1

[57] محمد بن جرير أبو جعفر الطبري ، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، ص: 164/24

- **القاعدة السابعة:** لا يقدم المحتمل المرجوح على الواضح الراجح وإذا تردد اللفظ القرآني بين دلالتين أو وجهي الإعراب أو أكثر فيرد إلى المحكم الذي لا إشكال فيه دون اللجوء إلى التأويل والتعطيل

المثال للقاعدة: على سبيل المثال قوله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (البقرة: 29) وذكر أبو جعفر الطبري في تفسيره خمسة وجوه لمعنى الاستواء، ونلخصه[58] ما يأتي: الأول : انتهاء شباب الرجل وقوته، فيقال : قد استوى الرجل. الثاني : استقامة ما كان فيه أود من الأمور والأسباب، يقال منه: استوى لفلان أمره. الثالث: الإقبال على الشيء يقال استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوءه بعد الإحسان إليه. الرابع : الاحتياز والاستيلاء، كقولهم: استوى فلان على المملكة. بمعنى احتوى عليها وحازها. الخامس : العلو والارتفاع، كقول القائل، استوى فلان على سريره. يعني به علوه عليه.

وقال ابن جرير الطبري (ت: 310 هـ) في تفسيره: "وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه:"ثم استوى إلى السماء فسواهن"، علا عليهن وارتفع، فدبرهن بقدرته، وخلقهن سبع سموات. والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله:"ثم استوى إلى السماء"، الذي هو بمعنى العلو والارتفاع، هربا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه -إذا تأوله بمعناه المفهم كذلك- أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها - إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر."[59]

ثم رد رحمه الله تعالى على من أنكر هذا المعنى، حيث يقول: "ثم لم ينج مما هرب منه! فيقال له: زعمت أن تأويل قوله"استوى" أقبل، أفكان مدبرا عن السماء فأقبل إليها؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل، ولكنه إقبال تدبير، قيل له: فكذلك فقل: علا عليها علو ملك وسلطان، لا علو انتقال وزوال. ثم لن يقول في شيء من ذلك قولا إلا ألزم في الآخر مثله. ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه، لأنبأنا عن فساد قول كل قائل قال في ذلك قولا لقول أهل الحق فيه مخالفا. وفيما بينا منه ما يشرف بذي الفهم على ما فيه له الكفاية إن شاء الله تعالى."[60]

هذا التقرير من إمام المفسيرن هو قول السلف، وتناقل جيل عن جيل، وهو الذي فهمه الصحابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو قول دون تكلف ومطمئن للقلب، انتهى إليه كل أكابر الفلاسفة الإسلامية. وقال الطبري (ت: 310 هـ) في تفسيره: حُدِّثت بذلك عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس (ثم استوى إلى السماء)، يقول: ارتفع إلى السماء.[61]

---

[58]أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ص: 1/430-431

[59]محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن* ص: 1/430-431

[60]محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن* ص: 1/430-431

[61] محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ص: 1/429، وانظر أيضا *الدر المنثور* للسيوطي، ص: 1/43

وتكلم بوضوح ابن الجوزي في تفسيره تحت الآية: إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ (الآية، الأعراف: 54)، قال رحمه الله تعالى: وإجماع السلف منعقد على أن لا يزيدوا على قراءة الآية. وقد شذَّ قوم فقالوا: العرش بمعنى الملك. وهذا عدول عن الحقيقة الى التجوُّز، مع مخالفة الأثر ألم يسمعوا قوله عزّ وجلّ: وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ أتراه كان الْمُلك على الماء؟

وكيف يكون الملك ياقوتة حمراء؟ وبعضهم يقول: استوى بمعنى استولى، ويحتج بقول الشاعر:

حتَّى اسْتَوى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ ... مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

وبقول الشاعر أيضاً:

هُمَا اسْتَويا بِفَضْلِهِما جَمِيْعاً ... عَلى عَرْشِ المملوكِ بغَيْرِ زُوْرِ

وهذا منكر عند اللغويين. قال ابن الاعرابي: العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى، ومن قال ذلك فقد أعظم. قالوا: وإنما يقال: استولى فلان على كذا، إذا كان بعيداً عنه غير متمكن منه، ثمّ تمكّن منه والله عزّ وجلّ لم يزل مستولياً على الأشياء والبيتان لا يعرف قائلهما، كذا قال ابن فارس اللغوي. ولو صحّا، فلا حجة فيهما لما بيَّنَّا من استيلاء من لم يكن مستولياً. نعوذ بالله من تعطيل الملحدة وتشبيه المجسمة[62].

فكل ما في القرآن من لفظ أوهم إلى معنى لا يليق بالله فإنه يفهم على وجه لغوي صحيح ولا يعطل اللفظ وإن اتفق لفظان فالمعنى مختلف، فلا يمكن صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معنى مرجوح حتى ولو ظن القائل أنه دليل قطعي، فمثلا في مسائل العقيدة، إذا عرف المكلف أنه ليس مكلفا في معرفة حقيقة الصفات، فلا يسعى ويتجاوز في ما هو خارج عن طاقته، فعند ذلك لا يحتاج إلى أن يعرف بطريق تأويل مجازي محتمل إلى تعيين معنى صفات الله تعال التي ذكرت في القرآن. والتأويل لا يفيد إلا الظن، والتعويل عليه في المسائل القطعية غير مفيد. لذا كان مذهب السلف عدم الخوض في تعيين التأويل لأنه من المتشابه والمتشابه يرد إلى المحكم.

- **القاعدة الثامنة:** لا تعارض بين التفسير اللفظي والتفسير المعنوي و يجوز التفسير بجزئي المعنى إذا دل عليه اللفظ والسياق

المثال للقاعدة: أن يفسر اللفظ بلازمه، في قوله تعالى: الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (البقرة: 27)، فقال شيخ المفسرين، ابن جرير الطبري (ت: 310 هـ): "والخاسرون جمع خاسر، والخاسرون: الناقصون أنفسهم حظوظها -بمعصيتهم الله عزوجل- من رحمته،

[62] عبد الرحمن أبو الفرج ابن الجوزي، *زاد المسير في علم التفسير*، بيروت، دار الكتاب العربي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة: الأولى، 1422 هـ، ص: ص: 129/2

كما يخسر الرجل في تجارته، بأن يوضع من رأس ماله في بيعه. فكذلك الكافر والمنافق، خسر بحرمان الله إياه رحمته التي خلقها لعباده في القيامة، أحوج ما كان إلى رحمته. يقال منه: خسر الرجل يخسر خسرا وخسرانا وخسارا.[63]

ثم قال رحمه الله تعالى: "وقد قيل: إن معنى (أولئك هم الخاسرون): أولئك هم الهالكون. وقد يجوز أن يكون قائل ذلك أراد ما قلنا من هلاك الذي وصف الله صفته بالصفة التي وصفه بها في هذه الآية، بحرمان الله إياه ما حرمه من رحمته، بمعصيته إياه وكفره به. فحمل تأويل الكلام على معناه، دون البيان عن تأويل عين الكلمة بعينها، فإن أهل التأويل ربما فعلوا ذلك لعلل كثيرة تدعوهم إليه."[64] وإذا رأينا معنى الأصل لمادة (خسر) في معجم مقاييس اللغة تدل على النقص.[65] ويكون تفسير من فسر بالهلاك من التفسير باللازم، أي أن من لازم خسارة هذا الخاسر هلاكه، وعياذ بالله.

و مثال لجواز التفسير بجزئي المعنى إذا دل عليه اللفظ والسياق، قوله تعالى: وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (الليل: 6)[66] قال أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك: وصدق بلا إله إلا الله، وهي رواية عطية عن ابن عباس. وقال مجاهد: بالجنة وقيل: "صدق بالحسنى": أي بالخلف، أي أيقن أن الله تعالى سيخلفه. وهي رواية عكرمة عن ابن عباس. وقال قتادة ومقاتل والكلبي: بموعود الله عز وجل الذي وعده أن يثيبه. دليله: قوله تعالى "للذين أحسنوا الحسنى" يعني الجنة.[67] ومما تقدم هو تفسير الكلمة بالجزئي المعنى وهو جائز بل ربما أكثر التفسير بالمأثور كان على هذا المنوال، هذا إذا دل عليه واللفظ والسياق، والله أعلم.

- **القاعدة التاسعة:** إذا صحّ سبب النزول أو قصة الآية فهو مرجع في تعيين معنى الكلمة والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

المثال للقاعدة: ومن أمثلة هذه القاعدة، ما ورد في تفسير تثبيت الأقدام من قول الله تعالى: إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ (الأنفال: 11)

---

[63] محمد بن جرير الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، ص: 417/1

[64] محمد بن جرير الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، ص: 417/1

[65] أحمد بن فارس، *معجم مقاييس اللغة*، ص: 182/2، *وانظر: مفردات غريب القرآن* للراغب الأصفهاني، ص:282 - 283.

[66] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، *معالم التنزيل*، ص: 446/8

[67] وقد أحسن ابن الجوزي التفريع لما اختلف فيه المفسرون في معنى الكلمة المفسرة حيث سرده مرتبا معدا في تفسيره *زاد المسير*، فارجع هناك لمن يرغب المزيد.

وقصة نزول الآية تدل على أن المراد يثبت أقدامهم التي يمشون بها على الرمل كي لا تسوخ فيه، كما وردت بذلك الرواية عن السلف، منها ما قاله ابن عباس ونقله الطبري في تفسيره: "وذلك أن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير ويقاتلوا عنها، نزلوا على الماء يوم بدر، فغلبوا المؤمنين عليه فأصاب المؤمنين الظمأ، فجعلوا يصلون مجنبين محدثين، حتى تعاظم ذلك في صدور أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادي، فشرب المسلمون، وملأوا الأسقية، وسقوا الركاب، واغتسلوا من الجنابة، فجعل الله في ذلك طهورا، وثبت الأقدام وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة، فبعث الله عليها مطرا، فضربها حتى اشتدت، وثبتت عليها الأقدام."[68]

وقال أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ): "وقد زعم بعض أهل العلم بالغريب من أهل البصرة، أن مجاز قوله (وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ) ويفرغ عليهم الصبر، وينزله عليهم، فيثبتون لعدوهم. وذلك قول خلاف لقول جميع أهل التأويل من الصحابة والتابعين، وحسب قول خطأ أن يكون خلافا لقول من ذكرنا. وقد بينا أقوالهم فيه، وأن معناه: ويثبت أقدام المؤمنين بتلبيد المطر الرمل حتى لا تسوخ فيه أقدامهم وحوافر دوابهم."[69]

- **القاعدة العاشرة:** معرفة التاريخ تعين على فهم معاني كلمات القرآن للمعاصرين

المثال للقاعدة: هذه القاعدة مقل القاعدة: إذا صحّ سبب النزول أو قصة الآية فهو مرجع في تعيين معنى الكلمة والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، إلا أن هذه القاعد تتعلق بالتاريخ عموما. ففي تعيين من هو قريش، قال ابن الجوزي وصاحبة تفسير غريب القرآن كاملة آل جهام الكواري أن (قريش): هم ولد النضر بن كنانة وهم قبائل شتى، فكل من لم يلده النضر فليس بقرشيّ[70]. وأي نعمة كانت ذكرهم الله تعالى بها في سورة قريش في الآية: لِإِيلَافِ[71] قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (قريش: 1-2) فجمهور العلماء على أن الرَّحلتين كانتا للتجارة، وكانوا يخرجون إلى الشام في الصيف، وإلى اليمن في الشتاء لشدة برد الشام.[72]

---

[68] محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، ص: 424/13

[69] ابن جرير الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، ص: 427/13

[70] والقرش: الكسب. يقال: هو يقرش لعياله، ويقترش، أي: يكتسب. وقد سأل معاوية ابن عباس لم سمّيت قريش قريشا؟ فقال ابن عباس: بدابّة تكون في البحر يقال لها: القريش لا تمرّ بشيء من الغثّ والسمين إلّا أكلته، وقال ابن الأنباري: قال قوم: سمّوا قريشا بالاقتراش وهو وقوع الرّماح بعضها على بعض (أبو الفرج ابن الجوزي، *زاد المسير في علم التفسير*، ص: 494/4) بتصرف يسير.

[71] الإيلاف: مصدر آلف الشيء يألفه إيلافا: إذا اعتاده وزالت الكلفة عنه والنفرة منه.(كاملة بنت محمد آل جهام الكواري، *تفسير غريب القرآن*، ص: 106/1)

[72] عبد الرحمن بن علي جمال الدين ابن الجوزي، *زاد المسير في علم التفسير*، ص: 494/4، و كاملة بنت محمد آل جهام الكواري، *تفسير غريب القرآن*، ص: 106/1

- **القاعدة الحادية عشرة:** سياق الكلام يعين معنى الكلمة والسياق هو ظاهر الآية

المثال للقاعدة : في قول الله تعالى : وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4) فاختلف المفسرون في المراد بالفجر، فهل المراد انفجار النهار من ظلمة الليل،أو المراد به صلاة الفجر. قال الشنقيطي (ت: 1393هـ) رحمه الله تعالى : "وكلا القولين له شاهد من القرآن. أما انفجار النهار، فكما في قوله تعالى: والصبح إذا تنفس (التكوير: 18) وأما صلاة الفجر فكما في قوله: وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا (الإسراء: 78) ، ولكن في السياق ما يقرب القول الأول، إذ هو في الأيام والليالي: " الفجر وليال عشر "، " الليل إذا يسري "، وكلها آيات زمنية أنسب لها انفجار النهار."[73]

- **القاعدة الثانية عشرة:** التأسيس في فهم الكلمة أولى من التأكيد، والبحث عن أغراض الاختلاف في تأدية المعنى باللفظ يعطي ثمرة زائدة دقيقة

المثال للقاعدة: فمن سبيل المثال، قول الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (الأنعام: 95)

فلو نظرنا إلى كلمة استعمال الإخراج في الآية رأينا أن إخراج الحي من الميت استعمل فعل (يُخْرِجُ) ووزنه دال على معنى التجدد، كما هو مقرر عند البلاغيين، أما إخراج الميت من الحي استعمل اسم الفاعل (مُخْرِجُ) وهو وصف له معنى الثبوت والدوام، وليس فيه معنى التجدد. فوضح هذا السر البياني في اختيار الكلمة للجملة الميداني (ت: 1398 هـ) في قواعد التدبر، حيث قال : "ويخطر لي أن هذا التنويع في التعبير قد يتضمن الإشارة إلى أن أخرج الحي من الميت يأتي متدرجا في أطوار، أما إخراج الميت من الحي فيأتي مرة واحدة، دون أن يمر في أطوار، فالحي يموت حين يلفظ النفس الأخير."[74]

وأشار إلى هذا ابن عاشور (ت: 1393 هـ) في تفسيره[75] : "وقد جيء بجملة: يخرج الحي من الميت فعلية للدلالة على أن هذا الفعل يتجدد ويتكرر في كل آن، فهو مراد معلوم وليس على سبيل المصادفة والاتفاق. وجيء في قوله: ومخرج الميت من الحي اسما للدلالة على الدوام والثبات، فحصل بمجموع ذلك أن كلا الفعلين متجدد وثابت، أي كثير وذاتي، وذلك لأن أحد الإخراجين ليس أولى بالحكم من قرينه فكان في الأسلوب شبه الاحتباك."

وأكد هذا البقاعي (ت: 885 هـ) في تفسيره نظم الدرر[76] : "لما كان فلقهما عن النبات من جنس الإحياء لما فيه من النمو فسر معنى الفلق وبينه إشارة إلى الاعتناء به وقتاً بعد وقت بقوله: (يخرج) أي على سبيل

---

[73] محمد الأمين، الشنقيطي الجكني، *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، بيروت، دار الفكر، ط. 1415 هـ، ص: 521/8

[74] الميداني، *قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل*، ص: 95

[75] محمد الطاهر ابن عاشور، *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، ص: ص: 389/7

[76] إبراهيم البقاعي، *نظم الدرر في تناسب الآيات*، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ص: 198/7

التجدد والاستمرار تثبيتاً لأمر البعث (الحي) أي كالنجم والشجر والطير والدواب (من الميت) من الحب والنوى والبيض والنطف فكيف تنكرون قدرته على البعث."فالوقوف على مناسبات الكلمة في الجملة والأغراض البلاغية، وملاحظة التنوع في النظم والتأمل في سرّ تراكيب الجملة القرآنية أمر مطلوب في تدقيق وتدبر معنى الآية وهو يعطي ثمرة زائدة على المعنى الأول المتبادر.

- **القاعدة الثالثة عشرة:** لا ينفصل فهم معنى الكلمة عن قواعد الإعراب وقد يتوقف فهم معنى الكلمة على فهم بلاغة القرآن وكل تفسير كلمة ليس له أصل في لغة العرب فهو مردود

المثال للقاعدة: قوله تعالى: أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (النازعات: 31) فكلمة (مَرْعَاهَا) وقال الراغب: والْمَرْعَى: موضع الرّعي.[77] ومعناها هنا ما ترعاه النعم من الشجر والعشب وما يأكله الناس من الأقوات والثمار وإطلاق المرعى عليه استعارة.[78]، أي استعارة تصريحية وتعريفها في كتب البلاغة: ما صرّح فيها بلفظ المستعار منه (المشبّه به) وحذف المستعار له (المشبّه). فمن هنا تبينت لنا القاعدة أنه لا ينفصل فهم معنى الكلمة عن قواعد الإعراب وقد يتوقف فهم معنى الكلمة على فهم بلاغة القرآن. ولا نستطيع أن نستعمل مكينة البلاغة في الجملة إلا إذا حصلنا ذوقا بلاغيا. فعلى المفسر أن يصل مستواه في البلاغة إلى مستوى بليغ وإلا فلا يفهم من الكلمة والكلام إلا مع وجود نقص.

- **القاعدة الرابعة عشرة:** التعيين على اسمية أو فعلية أو حرفية الكلمة ومكانها في الإعراب يعين على فهم معنى الكلمة بداية

المثال للقاعدة : قول الله تعالى: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ . فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (البروج: 22) فمعنى الآية على الإجمال ذكره الحسن البصري: "إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ، ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه."[79] وشرح الإمام البغوي (ت: 510 هـ) في معالم التنزيل في تفسير القرآن، حيث قال: "قرأ نافع: (محفوظ) بالرفع على نعت القرآن، فإن القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف، قال الله تعالى: (إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون)، وهو أم الكتاب، ومنه نسخ الكتب، محفوظ من الشياطين، ومن الزيادة فيه والنقصان."[80]

---

[77] الحسين بن محمد أبو القاسم الراغب الأصفهاني، *المفردات في غريب القرآن*، 357

[78] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، *تفسير الجلالين*، ص: 790

[79] إسماعيل أبو الفداء ابن كثير الدمشقي، *تفسير القرآن العظيم*، دار الكتب العلمية، ط. 1419 هـ، ص: 373/8

[80] أبو محمد الحسين بن مسعود محيي السنة البغوي، *معالم التنزيل في تفسير القرآن* ، ص: 389/8

وضح القرطبي (ت: 671 هـ) في الجامع لأحكام القرآن أن غير نافع قرأ بالجر وهو أيضا نعت لـ (للوح)، قال[81] رحمه الله تعالى : "وقرأ نافع (في لوح محفوظ) بالرفع نعتا للقرآن، أي بل هو قرآن مجيد محفوظ في لوح. الباقون (بالجر) نعتا للوح. والقراء متفقون على فتح اللام من لوح إلا ما روي عن يحيى بن يعمر، فإنه قرأ (لوح) بضم اللام، أي إنه يلوح، وهو ذو نور وعلو وشرف."

ومن فوائد معرفة اسمية أو فعلية أو حرفية الكلمة أننا لما نقابل الجملة التي تبتدئ بالاسم وتسمى بالجملة الاسمية ونريد أن نفهم الجملة فلا بد أن ننظر إلى القواعد علم المعاني أن الجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستقرار والجملة الفعلية تفيد الحدوث والتجدد.ثم أوّل شيئ في الإعراب هو أن تعيّن اسمية الكلمة وفعليتها وحرفيتها.

2. الفصل الثاني : الضوابط

أما الكلام في ضوابط التفسير، لم يكن مشهورا وما وجدنا أن واحدا عرفها، لأنه أئمة التفسير وعلوم القرآن جعل القاعدة لمعنى واحد. وهنا نحاول أن نعرفها فنقول أن ضوابط التفسير هي "الكليات التي تلتزم في مسألة واحدة كي يتوصل بها إلى المعنى المراد من كلمة القرآن". فالفرق بين الضابط والقاعدة في التفسير كالفرق بين القاعدة والتفسير في باب الفقه. فالضابط له مسألة واحدة فقط من مسائل التفسير أو تفسير الكلمة، بخلاف قواعد التفسير التي تحتوي على أجزاء أو محتوياتها الكثيرة. فهو أقل بابا أو أقل إيحاطة من قواعد التفسير.

وقد ذكرنا بعض الضوابط من كتاب السعدي القواعد الحسان لتفسير القرآن ومن كتاب قواعد التفسير لخالد السبت، وهنا نسرد ما لم يذكرهم من الضوابط التي استنبطناها من كتب علوم القرآن والتفسير والمعاجم وغيرها

الضابط الأول: الحروف المقطعة تفهم على وجه تعظيم مظهر لإعجاز القرآن. في الأصل أن جميع ظواهر نصوص القرآن مفهومة لدى المخاطبين، لأن القرآن نزل على الناس ليتدبروه، ولا يعقل تدبر شيئ ما لا يفهم، حتى الحروف المقطعة في أوائل السور فإنها مفهومة أيضا من ناحية أنها تدل على إعجاز القرآن الكريم. أما بنسبة معانيها فقد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور[82] على ثلاثة أقوال ونختار القول بأنها مما استأثر الله بعلمه، فردوا علمها إلى الله ولم يفسروها، وذكر هذا عن الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين، وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان. [83]

---

[81] شمس الدين أبو عبد الله القرطبي ، *الجامع لأحكام القرآن*، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة : 1423 هـ، ص: 299/19

[82] ومجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا يجمها قول: نص حكيم قاطع له سر. وهي نصف الحروف عددا والمذكور منها أشرف من المتروك. وهي مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني من المهموسة والمجهورة، ومن الرخوة والشديدة، ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية والمنخفضة، ومن حروف القلقلة. (انظر: إسماعيل بن عمر، ابن كثير الدمشقي، *تفسير القرآن العظيم*، ص: 1:70)

[83] حكاه القرطبي في تفسيره شمس الدين أبو عبد الله القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ص: 154/1، لخصت هذه الأقوال من عرض ابن كثير في أوائل تفسيره، انظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر، ابن كثير الدمشقي، ص: 67/1

قال ابن كثير (ت: 774 هـ) رحمه الله تعالى: وقال آخرون بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين، وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا، وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصر، وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس بن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو العجاج المزي وحكاه لي عن ابن تيمية.[84]

الضابط الثاني: يفهم لفظ المقسم به على وجه التشريف ويبحث عن سر إيراده

المثال للضابط: قسم الله تعالى في أول سورة الشمس: وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (الشمس: 1) فذكر ابن كثير (ت: 774 هـ) تفسير هذه الآية بقوله: قال مجاهد: (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) أي: وضوئها. وقال قتادة: (وَضُحَاهَا) النهار كله. قال ابن جرير: والصواب أن يقال: أقسم الله بالشمس ونهارها؛ لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار.[85]وقال السعدي موضحا معنى الآية: أي: نورها، ونفعها الصادر منها.[86] و كلمة الضحى في اللغة العربية تدل على وقت ارتفاع الشمس واعتدال حرارة النهار من الحر والبرد.[87]

وإذا تأملنا سبب قسم ربنا عزوجل بالضحى ازاد لنا رغبا في بحث عن عظمة خلقه في الشمس وضحاها، وأنه يعطي منفعة أيما منفعة لأهل الأرض من الإنسان والحيوان والنباتات إلى آخرها. وأنه سبب في بقاء حياتهم في كوكب الدنيا وإذا توقف نورها إلى الدنيا فانتهى حياتهم.

فتصبح القواعد والضوابط واضحتين جدا للقارئين ونجمع هذه القواعد والضوابط بما قد سبق ذكر أمثالها من القواعد في كتب قواعد التفسير وغيرها. وأنه من المهم لمترجم ومفسر القرآن أن يلم بعلوم العربية على مستوى عال لأن الذي لحظناه الذي يريد تفسير كلمة القرآن فإنه يحتاج إلى علوم العربية أكثر من غيرها من أنواع العلوم التي تتعلق بتفسير الآية عموما، والله أعلم.

ج. نتيجة البحث

وصلنا إلى هذا الختام وهو عبارة عن نتيجة البحث والتوصيات، فنتيجة البحث التي وصلنا إليها، هي التالية:

---

[84] إسماعيل بن عمر، ابن كثير الدمشقي، *تفسير القرآن العظيم*، ص: 71/1

[85] أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، *تفسير القرآن العظيم*، ص: 410/8

[86] عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، ص: 926

[87] ينظر تعليق مصطفى البغا على *صحيح البخاري* (رقم 4667)، ص: 1892/4

1. حتى يصل الباحث في القرآن الكريم إلى فهم صحيح وتدبر صحيح دقيق فيتطلب منه أن بفهم كلمات القرآن على وفق ما عند الكلمة من المعاني التي تحتوي عليها. لذا نحتاج الباحث أو المتدبر إلى القواعد والضوابط لتفسير الكلمة القرآنية لأن اللغة العربية لثروتها الغزيرة ربما يتيه الإنسان فيها ولا يهتدى، وليس سهل في دخول إلى معنى عميق للكلمة، خصوصا لأناس هذا الزمان.
2. القواعد والضوابط لتفسير الكلمة القرآنية التي وصلنا إليها – ولم تكن مذكورة من قبل – تضمنت في أربع دلائل، وهي: دلالة وضعية للكلمة، ودلالة معنوية للكلمة، دلالة تركيبية للكلمة، دلالة خارجية للكلمة.
3. الدلالة الوضعية تحتوي على ثلاث قواعد وثلاثة ضوابط:

القاعدة: لا بد من اعتماد دلالات الكلمات القرآنية في عصر نزول القرآن، لا وفق ما تطورت إليه الكلمة

القاعدة: النظر في أصل الكلمة واشتقاقها من المعاجم المعتمدة والنظر في معنى الكلمات بشكل كامل، سبيل الوصول إلى فهم سديد في تعيين معنى الكلمة وهو أولى بتفسير الكلمة

الضابط: الحروف المقطعة تفهم على وجه تعظيم مظهر لإعجاز القرآن

الضابط: يفهم لفظ المقسم به على وجه التشريف ويبحث عن سر إيراده

4. الدلالة المعنوية تحتوي على ست قواعد وضابطين:

القاعدة: إعمال الأغلب في القرآن وتقديم المفهوم الجاري في استعماله أولى ولا يحكم للأغرب من كلام العرب على الأغلب ولا الشاذ الضعيف على القوي

القاعدة: لا يقدم المحتمل المرجوح على الواضح الراجح وإذا تردد اللفظ القرآني بين دلالتين أو وجهي الإعراب أو أكثر فيرد إلى المحكم الذي لا إشكال فيه دون اللجوء إلى التأويل والتعطيل

القاعدة: لا تعارض بين التفسير اللفظي والتفسير المعنوي

القاعدة: التأسيس في فهم الكلمة أولى من التأكيد، والبحث عن أغراض الاختلاف في التعبير يعطي ثمرة زائدة دقيقة

5. الدلالة التركيبية وتحتوي على ثلاث قواعد:

القاعدة: سياق الكلام يعين معنى الكلمة والسياق هو ظاهر الآية

القاعدة: التعيين على اسمية أو فعلية أو حرفية الكلمة ومكانها في الإعراب يعين على فهم معنى الكلمة بداية

القاعدة: لا ينفصل فهم معنى الكلمة عن قواعد الإعراب وقد يتوقف فهم معنى الكلمة على فهم بلاغة القرآن وكل تفسير كلمة ليس له أصل في لغة العرب فهو مردود

6. الدلالة الخارجية وتحتوي على خمس قواعد:

القاعدة: معرفة معنى الكلمة من حيث اللغة لا تكفي في تحديد المراد

القاعدة: كل تفسير لغوي وارد عن السلف يحكم بعربيته وهو مقدم على تفسير اللغويين، لأسباب علمية عقلية وعرفية، بشرط صحت النسبة إلى القائل

القاعدة: إذا جاء القرآن والحديث الصحيح والمأثور الصحيح بتفسير الكلمة فهو مقدم وأولى من غيره وما خولف فيه اتفاق الصحابة والتابعين في التفسير فهو يرد

القاعدة: إذا صحّ سبب النزول أو قصة الآية فهو مرجع في تعيين معنى الكلمة والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

القاعدة: معرفة التاريخ تعين على فهم معاني كلمات القرآن للمعاصرين

المصادر و المراجع

أبو بكر، محمد الرازي، *مختار الصحاح*، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 1415هـ

أبو بكر، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م

أبو بكر، محمد شمس الدين ابن قيم الجوزية، *التبيان في أقسام القرآن*، بيروت، لبنان، الناشر: دار المعرفة، المحقق: محمد حامد الفقي، عدد الأجزاء: 1

أحمد، محمد الأزهري الهروي، أبو منصور، *تهذيب اللغة*، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، 2001م

أحمد، علي الندوي، *القواعد الفقهية (مفهومها، نشأتها، تطورها، دراسة مؤلفاتها، أدلتها، مهمتها، تطبيقاتها)*، دمشق، دار القلم الطبعة الرابعة 1418 هـ

إسماعيل، محمد أبو عبد الله البخاري، *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه*، بيروت، دار طوق النجاة، ط. 1422هـ

بهادر، محمد بدر الدين الزركشي، *البحر المحيط في أصول الفقه*، بيروت لبنان ، الناشر دار الكتب العلمية، التحقيق : محمد محمد تامر، 1421هـ

حسين، محمد الذهبي، *التفسير والمفسرون*، القاهرة، مكتبة وهبة (رقم الايداع: 95/7375)

حسن حنبكة، عبد الرحمن الميداني، *قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل* ، دمشق بيروت، دار القلم، الطبعة الأولى 1400 هـ

حسن فرحات، أحمد، *معاجم مفردات القرآن (موازنات ومقترحات)*، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة

ديب البغا، مصطفى محيي الدين، *الواضح في علوم القرآن*، الناشر: دمشق، دار الكلم الطيب/دار العلوم الانسانية، الطبعة: الثانية، 1418 هـ

جرير، محمد أبو جعفر الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، التحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ط. 1422 هـ

خليل، مناع القطان، *مباحث في علوم القرآن*، الرياض المملكة العربية السعودية، مكتبة المعارف، ط. 1421هـ

سليمان، مساعد الطيار، *فصول في أصول التفسير*، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية، 1423هـ

_____ *التفسير اللغوي للقرآن الكريم*، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، 1432هـ

صالح، محمد العثيمين، *أصول في التفسير*، المكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1422 هـ

_____ *شرح مقدمة التفسير لابن تيمية*، الرياض المملكة العربية السعودية، دار الوطن، ط. 1415 هـ

عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور، *التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)*، تونس، دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع، ط. 1997 م، عدد الأجزاء / 30

عبد الحميد الفراهي الهندي، *مفردات القرآن (نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية)*، المحقق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2002 م

عبد الرحمن، عبد القاهر أبو بكر الجرجاني، *دلائل الإعجاز في علم المعاني*، مصر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط. 1413هـ

عبد الله، محمد بدر الدين الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ط. 1376 هـ

عبد الله، محمود شهاب الدين الحسيني الألوسي، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، المحقق: علي عبد الباري عطية، الطبعة: الأولى، 1415 هـ

عبد الله، مصطفى حاجي خليفة، *كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون*، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط. 1941م

عمر، إسماعيل أبو الفداء ابن كثير الدمشقي، *تفسير القرآن العظيم*، بيروت، ار الكتب العلمية، ط. 1419 هـ

عمرو، محمود جار الله أبو القاسم الزمخشري، *الفائق في غريب الحديث والأثر*، لبنان، الناشر: دار المعرفة، المحقق: علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثانيةعلي، حسين الحربي، *قواعد الترجيح عند المفسرين*، الرياض المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى سنة 1417 هـ

علي، عبد الرحمن جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، *زاد المسير في علم التفسير*، بيروت، دار الكتاب العربي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة: الأولى،1422 هـ

عيسى، محمد أبو عيسى الترمذي، *الجامع الصحيح (سنن الترمذي)*، بيروت، الناشر : دار إحياء التراث العربي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، عدد الأجزاء: 5

القاسم، محمد أبو بكر الأنباري، *الأضداد*، بيروت لبنان، المكتبة العصرية، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عام النشر: 1407 هـ

محمد، الحسين أبو القاسم الراغب الأصفهانى، *المفردات في غريب القرآن*، دمشق بيروت، دار القلم، الدار الشامية، الطبعة: الأولى - 1412 هـ

محمد، إبراهيم الفقيه اليمني، *مذكرة في علوم القرآن*، صنعاء، مكتبة الإمام الوادعي، ط. 1429هـ

محمد المختار، محمد الأمين الجكني الشنقيطي، *العذب النمِير من مجالس الشّنقيطي في التفسير*، مكة المكرمة ، لناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، المحقق: خالد بن عثمان السبت، الطبعة: الثانية، 1426 هـ

_____. *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، بيروت، دار الفكر، ط. 1415 هـ

_____ الشنقيطي الجكني، *منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز*، المملكة العربية السعودية، دار عالم الفوائد جدة

محمد، علي الزين الشريف الجرجاني، *كتاب التعريفات*، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى 1403هـ

محمد، علي الشوكاني اليمني، *البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع*، بيروت، دار المعرفة، ط. 2004 م

محمود، خير الدين الزركلي الدمشقي، *الأعلام*، أيار، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، مايو 2002 م

مسلم، عبد الله، أبو محمد ابن قتيبة الدينوري، *غريب القرآن*، بيروت، دار الكتب العلمية (مصورة عن الطبعة المصرية)، السنة: 1398 هـ

مصطفى، أحمد المراغي، *علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)*، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. 1414هـ

مسعود، الحسين محيي السنة أبو محمد البغوي، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، المملكة العربية السعودية، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ

موسى، جابر أبو بكر الجزائري ،*أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*، المملكة العربية السعودية، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الخامسة، 1424هـ

ناصر، عبد الرحمن السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى، ط. 1420هـ

_____ *القواعد الحسان لتفسير القرآن*، المملكة العربية السعودية، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة:الأولى، 1420هـ

يعقوب، محمد الفيروزآبادي، *القاموس المحيط*، بيروت، الرسالة، ط. 1998م

يوسف، محمد أثير الدين أبو حيان الأندلسي، *البحر المحيط في التفسير*، بيروت، دار الفكر، ط. 1420 هـ